

التبيان في تفسير القرآن

(395) ابو علي: ذلك مخصوص بمن علم الله من حاله أن له في بعثه الانبياء لطفًا، لانه إذا كان كذلك متى لم يبعث اليهم نبيا يعرفهم ما فيه لطفهم، كان في ذلك اتم الحجة عليه (تعالى) وذلك يفسد قول من قال: في مقدوره من اللطف ما لو فعله بالكافر لآمن به، لانه لو كان الامر على ما قالوه، لكانت لهم الحجة بذلك على الله (تعالى) قائمة. فاما من لم يعلم من حاله ان له في انفاذ الرسل اليه لطفًا، فالحجة قائمة عليه بالعقل، وأدلتها على توحيده، وصفاته وعدله، ولولم تقم الحجة بالعقل ولا قامت إلا بانفاذ الرسل، لفسد ذلك من وجهين: أحدهما - ان صدق الرسل لا يمكن العلم به الا بعد تقدم العلم بالتوحيد والعدل فان كانت الحجة، لم تقم عليه بالعقل فكيف الطريق له إلى معرفة النبي (صلى الله عليه وآله) وصدقه. والثاني - انه لو كانت الحجة لاتقوم الا بالرسول لاحتاج الرسول أيضا إلى رسول آخر حتى تقوم عليه الحجة. والكلام في رسوله كالكلام في هذا الرسول ويؤدي ذلك إلى ما لا يتناهى. وذلك فاسد فمن استدل بهذه الآية على ان التكليف، لا يصح بحال الا بعد انفاذ الرسل، فقد ابعد على ما قلناه. وقوله: " وكان الله عزيزا حكيما " معناه انه مقتدر على الانتقام ممن يعصيه ويكفر به لا يمنعه منه مانع لعزته حكيم فيما امر به خلقه وفي جميع افعاله. قوله تعالى: (كن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) (166) آية. قال الزجاج: الرفع مع تخفيف (لكن) والنصب مع تشديده جائز، لكن لم يقرأ بالتشديد احد. ومعنى " لكن الله يشهد " أي يبين ما تشهد به ويعلم مع ابانته انه حق.